151219 ـ نبذة عن القاضي عياض رحمه الله .

السؤال

من هو القاضي عياض؟ مؤلف كتاب الشفا..

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد اليحصبي أبو الفضل القاضي المحدث الحافظ ، ولد في "سبتة" من بلاد المغرب الأقصى ، وسمع من مشيختها ، وتفقه ببعضهم ، ورحل إلى الأندلس فأخذ بقرطبة عن أبي الحسين بن سراج وأبي عبد الله بن حمدين وأبي القاسم بن النخاس وابن رشد ، وغيرهم , ورحل منها إلى مرسية فقدمها في غرة صفر سنة 508 ، فتفقه ودرس وتعلم وناظر حتى فاق أقرانه وذاع صيته .

كانت له اليد الطولى في كافة العلوم ، من الحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها ، وله المصنفات العديدة ، التي انتفع بها الناس .

قال الفقيه أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكول رحمه الله :

" قدم الأندلس طالبا للعلم ، وأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله مج بن علي ، وغيرهم ، وأجاز له أبو علي الغساني ما رواه ، وأخذ بالمشرق عن القاضي علي حسين بن محمّد الصدفر كثيرا ، وعن غيره ، وعني بلقاء الشيوخ ، والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث كثيرا ، وله عناية كبيرة بهم ، واهتم بجمعه وتقييده ، وهو من أهل التفنن في العلم ، والذكاء واليقظة الفهم، واستقضى ببلده مدة طويلة ، فحمدت سيرته فيها ، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة ، فلم يطل أمده بها ، وقدم علينا قرطبة في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة ، وأخذنا عنه بعض ما عنده " انتهى .

"الصلة" (ص 146) – "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" (ص 240)

وقال ابن الأبار رحمه الله :

" كان لا يُدرك شأْوُه ، ولا يُبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث ، وتقييد الآثار ، وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه ، والتصرف الكامل في فهم معانيه ، إلى اضطلاعه بالآداب ، وتحققه بالنظم والنثر ، ومهارته في الفقه ، ومشاركته في اللغة والعربية .

وبالجملة : فكان جمال العصر ، ومفخر الأفق ، وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة ، وإذا عدت رجالات المغرب ـ فضلا عن الأندلس ـ حسب فيهم صدرا ، وله تواليف مفيدة كتبها الناس وانتفعوا بها وكثر استعمال كل طائفة لها .

وولي قضاء بلده مدة طويلة ، ثم نقل إلى قضاء غرناطة فلم يطل مقامه بها ، وأعيد إلى سبتة ثانية ، ومنها أشخص إلى مراكش

وفيها توفي مغربا عن وطنه يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة سنة 544 ، ودفن بباب إيلان داخل المدينة ومولده منتصف شعبان سنة 476 "انتهى.

"المعجم في أصحاب القاضي الصدفي" (ص 295-296)

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمته من "السير" (39/205-206) :

" الإِمَامُ العَلاَّمَةُ الحَافِظُ الأَوْحَدُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ القَاضِي أَبُو الفَضْلِ عِيَاضُ بنُ مُوْسَى بنِ عِيَاضِ بنِ عَمْرِو بنِ مُوْسَى بنِ عِيَاضٍ اليَحْصَبيُّ الأَنْدَلُسِيُّ ثُمَّ السَّبْتِيُّ المَالِكِيُّ .

وُلِدَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ .

تَحَوَّل جَدّهُم مِنَ الأَنْدَلُس إِلَى فَاس ، ثُمَّ سَكَنَ سَبْتَة .

لَمْ يَحمل القَاضِي العِلْم فِي الحدَاثَة ، وَأَوّل شَيْء أَخَذَ عَنِ الحَافِظ أَبِي عَلِيٍّ الغَسَّانِيّ إِجَازَة مُجرَّدَة ، رحل إِلَى الأَنْدَلُس سَنَة بِضْع وَخَمْس مائَة ، وَرَوَى عَنِ القَاضِي أَبِي عَلِيّ بنِ سُكَّرَةَ الصَّدَفِيّ وَلاَزمه ، وَعَنْ أَبِي بَحْر بن العَاصِ ، وَمُحَمَّد بن حمدين ، وَأَبِي الحُسَيْن سرَاج الصَّغِيْر ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ بنِ عَتَّابٍ ، وَهِشَامِ بنِ أَحْمَدَ ، وَعِدَّةٍ .

وَتَفَقَّهَ بِأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ عِيْسَى التَّمِيْمِيّ ، وَالقَاضِي مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ المَسِيْلِيّ .

وَاستبحر مِنَ العُلُوْم ، وَجَمَعَ ، وَأَلَّفَ ، وَسَارَتْ بِتَصَانِيْفِهِ الرُّكبَانُ ، وَاشْتُهِرَ اسْمُهُ فِي الآفَاق .

وَقَالَ الفَقِيْه مُحَمَّد بن حَمَّاده السَّبْتِيُّ : جلس القَاضِي لِلمُنَاظَرَةِ وَلَهُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ سَنَةً ، وَوَلِيَ القَضَاءَ وَلَهُ خَمْس وَثَلاَثُوْنَ سَنَةً ، كَانَ هَيِّناً مِنْ غَيْرِ ضَعفٍ ، صَلِيْباً فِي الحَقّ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِسَبْتَةَ فِي عصرٍ أَكْثَرَ تَوَالِيفَ مِنْ تَوَالِيْفِهِ ، لَهُ كِتَاب (الشفَا فِي شرف المُصْطَفَى) مُجَلَّد ، وَكِتَاب (تَرْتِيْب المدَارك وَتَقْرِيْب المسَالك فِي ذكرِ فُقَهَاء مَذْهَب مَالِك) فِي مُجَلَّدَات ، وَكِتَاب (العقيدَة) ، وَكِتَاب (شرح حَدِيْث أُمّ زرع) ، وَكِتَاب (جَامِع التَّارِيْخ) الَّذِي أَربَى عَلَى جَمِيْع المُؤلفَات ، جَمعَ فِيْهِ أَخْبَار مُلُوْك الأَنْدَلُس وَالمَغْرِب ، وَاسْتَوْعَبَ فِيْهِ أَخْبَار سَبتَةَ وَعُلَمَاءهَا ، وَلَهُ كِتَاب (مشَارقِ الأَنوَار فِي اقتفَاء صَحِيْح الآثَارِ) إِلَى أَنْ قَالَ :

وَحَاز مِنَ الرِّئَاسَة فِي بلدِه وَالرِّفعَة مَا لَمْ يَصل إِلَيْهِ أَحَد قَطُّ مِنْ أَهْلِ بلده ، وَمَا زَاده ذَلِكَ إِلاَّ تَوَاضعاً وَخَشْيَة للهِ تَعَالَى ، وَلَهُ مِنَ المُؤلفَات الصّغَار أَشيَاءُ لَمْ نَذكرهَا .

قَالَ القَاضِي شَمْس الدِّيْن فِي (وَفِيَات الأَعيَان) : هُوَ إِمَام الحَدِيْث فِي وَقْتِهِ، وَأَعْرفُ النَّاس بِعُلُوْمِهِ ، وَبِالنَّحْوِ ، وَاللُّغَةِ ، وَكَلاَمِ العَرَبِ ، وَأَيَّامهِم ، وَأَنسَابِهِم ، وَكُلّ تَوَالِيْفِهِ بَدِيْعَة ، وَلَهُ شعر حسن .

قُلْتُ – أي الذهبي ـ : تَوَالِيفه نَفِيْسَة ، وَأَجَلهَا وَأَشرفهَا كِتَاب (الشفَا) لَوْلاَ مَا قَدْ حشَاه بِالأَحَادِيْث المفتعلَة ، عَمَلَ إِمَامٍ لاَ نَقد لَهُ فِي فَن الحَدِيْث وَلاَ ذوق ، وَاللهُ يُثيبه عَلَى حسن قصدهِ ، وَيَنْفَع بِـ (شِفَائِهِ) وَقَدْ فَعَلَ ، وَكَذَا فِيْهِ مِنَ التَّأْوِيْلاَت البعيدَة أَلوَان ، وَنبينَا ـ صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ وَسلاَمه ـ غنِيٌّ بِمدحَة التنزيل عَنِ الأَحَادِيْث ، وَبِمَا تَوَاتر مِنَ الأَخْبَار عَنِ الآحَاد ، وَبِالآحَاد النّظيفَة الأَسَانِيْد عَنِ الوَاهيَات ، فَلِمَاذَا يَا قَوْم نَتشبع بِالمَوْضُوْعَات ؟ فَيتطرق إِلَيْنَا مَقَالُ ذَوِي الغل وَالحسد ، وَلَكِن مَنْ لاَ يَعلم معذور .

وَقَدْ حَدَّثَ عَنِ القَاضِي خلق مِنَ العُلَمَاءِ ، مِنْهُم : الإِمَام عَبْد اللهِ بن مُحَمَّدٍ الأَشِيْرِيّ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ بنُ القَصِيْر الغَرْنَاطِي ،

وَالحَافِظ خَلَف بن بَشْكُوَال ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ بنُ عُبَيْدِ اللهِ الحَجْرِيّ ، وَمُحَمَّد بن الحَسَنِ الجَابِرِي ، وَوَلَده القَاضِي مُحَمَّد بن عِيَاضٍ قَاضِي دَانِيَة " انتهى .

وينظر للاستزادة : "تذكرة الحفاظ" (4 / 68) ـ "تاريخ قضاة الاندلس" (ص 101) – "طبقات النسابين" (ص 20) – "وفيات الأعيان" (3 / 483) .